مصاير الحرب فى اسبانيا

والصراع بين انكلترا وايطاليا

بقلم باحث دبلوماسى كبير

مضت إلى اليوم تسعة أشهر مذ نشبت الحرب الأهلية الاسبانية فى أواخر يوليه الماضى ، وما زالت على اضطرامها ، ونستطيع بعد الذى شهدناه من تطور الحوادث خلال هذه الفترة أن نقول إن هذه المعركة الطاحنة التى تخضب أرض اسبانيا بالدماء وتبسط فى جنباتها أعلام الدمار والويل ، لم تسفر حتى اليوم عن نتيجة حاسمة ؛ بل لا نبالغ إذا قلنا إنها ما زالت حيثما بدأت من حيث أوضاعها الداخلية : فالجبهة الثائرة مازالت تجاهد جهاد اليأس لتنزع ما تستطيع انتزاعه من المدن والأراضى ؛ وجبهة الحكومة أو الجبهة الجمهورية ما زالت تصمد فى معظم الميادين وترد هجمات الثائرين ؛ وقد أحرزت فى الأسابيع الأخيرة نجاحا يذكر فى المعارك التى دارت حول مدريد ، ولا سيما فى وادى الحجارة (جوادى لاجارا) كما أحرزت بعض النجاح فى الشمال حول اوفيدو ، وفى الجنوب فى بساتط قرطبة وغرناطة . وقد لاح مدى حين حينما استولى الثوار على مالقة فى أوائل شهر فبراير بمؤازرة الفرق الايطالية فى البر ، والمدرعات الايطالية والألمانية فى البحر ، ان الجبهة الثائرة تسير إلى نصر سريع محقق ، وان الجبهة الجمهوريه قد اضحت على وشك الانهيار والتحطم ؛ وكان سقوط مالقة فى الواقع تعويضا للثوار عما لحقهم أمام مدريد من فشل مستمر ؛ وكان المظنون أن الثوار سيتابعون زحفهم الى المرية ثم إلى بلنسية حيث تقوم الحكومة الجمهورية ؛ ولكن سقوط مالقة أذكى فى الجمهورية شعور الخطر ، وأذكى فيها روح النضال ، فضاعفت جهودها ، واستطاعت أن ترد خطر الثوار فى الجنوب ؛ واغتر الثوار بظفرهم فى مالقة فدبروا مع حلفائهم الايطاليين هجومهم الجديد على مدريد ، واضطرمت حول العاصمة الاسبانية سلسلة جديدة من المعارك الطاحنة ، ولكنها أسفرت فى تلك المرة كما أسفرت فى كل المرات السابقة عن فشل الثوار الذريع ، بل أسفرت فوق ذلك عن احراز القوات الجمهورية لسلسلة من الانتصارات الباهرة فى جبهة وادى الحجارة وفى آفيلا ، وعن تمزيق الثوار وحلفائهم الايطاليين ، وردهم بعيدا عن حدود العاصمة وعن طريق مدريد - بلنسية الذى يحاولون احتلاله لقطع العاصمة عن باقى اسبانيا

وقد كان لهذا التطور الجديد فى مصاير الحرب الأهلية الاسبانية أثر عميق فى الموقف الدولى ، فقد كشفت الحوادث والمعارك الأخيرة عن مبلغ تدخل إيطاليا فى الحرب الاسبانية وعن ضخامة الدور الذى تقوم به إلى جانب الثوار ، وبالأخص عما ارتكبته من المخالفات الصريحة لاتفاق عدم التدخل ، إذ تبين أنها أرسلت إلى اسبانيا عدة فرق عسكرية كاملة فى أوائل شهر مارس ، أعنى بعد أن عقد ميثاق عدم التدخل فى لندن وتعهدت جميع الدول الموقعة عليه ومنها إيطاليا بان تكف عن تدخلها فى الحرب الاسبانية ، وأن تقطع عن الفريقين المتحاربين كل معاونة عسكرية ، وتبين أن معظم القوى التى قامت بالهجوم الأخير على مدريد كانت مؤلفة من الايطاليين وأنه يوجد الآن فى اسبانيا إلى جانب الثوار نحو خمسين الف جندى إيطالى ؛ وقد كشفت السياسة الايطالية عن مبلغ تمسكها بهذا التدخل وتصميمها على معاونة الثوار على تحقيق الغرض الذى ترمى إليه ، وهو إقامة حكومة عسكرية فاشستية فى اسبانيا تكون خاضعة للنفوذ الايطالى ؛ وقد قررت إيطاليا فى لجنة عدم التدخل ، على يد سفيرها فى لندن ، أنها ترفض سحب جنودها فى اسبانيا وصرحت صحافتها الشبيهة بالرسمية ، بان الجنود الايطالية لن تغادر اسبانيا حتى يتم الظفر النهائى لزعيم الثورة الجنرال فرانكو ، وأن إيطاليا لن تسمح بأى حال أن تقوم فى اسبانيا حكومة بلشفية ، وهو الوصف الذى تطلقه على حكومة اسبانيا الشعبية الجمهورية . ولنلاحظ أن إيطاليا تقف هذا الموقف العنيف غداة هزيمة جنودها أمام مدريد ، وهى الهزيمة الذريعة التى كدرت على موسولينى صفو رحلته الرنانة فى طرابلس ، وحملته على العودة إلى روميه قبل أن يتم برنامجه

وهذا الموقف الذى تقفه إيطاليا من المسألة الاسبانية يثير فى لندن وباريس مخاوف كثيرة ؛ وقد كان موقف المانيا ازاء هذه المسألة من قبل يثير مثل هذه المخاوف ، ولكن ألمانيا تقف فى معاونتها للثوار عند الحد الذى بلغته قبل عقد اتفاق عدم التدخل . ولا تريد الآن على مايظهر أن تتوسع فى تدخلها بعد أن رأت فشل سياستها فى المسألة الاسبانية ؛ أما إيطاليا فانها تثير بموقفها صعابا جمة فى سبيل تطبيق سياسة عدم التدخل التى ترى لندن وباريس أنها خير وسيلة لحصر أخطار الحرب الاسبانية وصون السلام الأوربى من شرورها المتطاير . وهنا تبدو الصبغة الدولية للحرب الأهلية الاسبانة وهى الصبغة التى نوهنا بخطرها وأهميتها مذ نشبت الثورة فى اسبانيا . فالعلائق الايطالية الانكليزية ، والنضال بين انكلترا وإيطاليا فى البحر الأبيض المتوسط ، تلعب أكبر دور فى تطور المسألة الاسبانية ، وفى سير الحوادث الدولية بوجه عام . والمسألة الاسبانية ليست إلا واحدة من مسائل عديدة يثيرها النضال بين الدولتين فى هذا البحر ؛ وإيطاليا لم تنس موقف انكلترا فى المسألة الحبشية ، ولم تنزل عن شىء من أحقادها ومشاريعها رغم عقد اتفاق « الجنتلمان » بينها وبين انكلترا على احترام الحالة الراهنة فى البحر الأبيض المتوسط . وإذا كانت انكلترا تمضى اليوم فى تنفيذ برنامجها الدفاعى الهائل فلأنها اعتبرت بحوادث الحرب الحبشية ، وشعرت بالخطر الذى يهدد سيادتها الأمبراطورية من جراء تفوق التسليح الايطالى فى البحر الأبيض المتوسط ؛ وهى تستطيع اليوم بعد أن قطعت شوطاً كبيراً فى برنامجها الدفاعى أن تقف فى وجه السياسة الفاشستية وأن تناوىء اطماعها الخطرة . ولم ننس بعد تلك المعركة الصحفية المرة التى اضطرمت بين الصحافتين البريطانية والايطالية ، من جراء أقوال « الدوتشى » ومزاعمه المغرقة فى طرابلس حول حماية الاسلام والعرب ، وما أثارته تلك المزاعم من سخرية لاذعة فى العالم الاسلامى .

ولنلاحظ أن هذا النضال بين السياستين البريطانية والفاشستية كما أنه يحدث أثره فى المسالة الاسبانية أو غرب البحر الأبيض المتوسط ، فانه يحدث أثره العميق أيضاً فى شرق هذا البحر ، فى الأشهر الأخيرة نشطت السياسة الايطالية فى البلقان وفى أوربا الوسطى ، وأحرزت أخيراً نجاحاً يذكر بعقد الميثاق اليوجوسلافى الايطالى ، ومن المعروف أن العلائق بين إيطاليا ومنافستها القوية فى بحر الادرياتيك لم تكن على ما يرام ، فعقد هذا الميثاق يحسم كثيراً من أسباب النزاع بينهما ، ويضمن لايطاليا حيدة يوجوسلافيا اذا وقع الصدام بينها وبين دولة أخرى ، كما أنه يضمن ليوجوسلافيا مثل هذه الحيدة ؛ والظاهر أن السياسة الايطالية تسعى إلى عقد مثل هذا الميثاق مع المجر حيث تتمتع بنفوذ واضح ، ومع تركيا الكمالية أيضاً . فاذا تم عقد هذه المواثيق ، فان ايطاليا الفاشستية تسوى بذلك علائقها فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وتأمن غائلة الاعتداء من هذه الناحية ، وتستطيع أن تتفرغ لمقاومة السياسة البريطانية فى أواسط البحر الأبيض المتوسط وفى غربه أعنى فى أسبانيا

ولقد نوهنا من قبل غير مرة بخطورة هذا النضال بين ايطاليا وبريطانيا العظمى وشرحنا عناصره الظاهرة والخفية ، وليس من ريب فى أن هذا النضال يستغرق اليوم كثيرا من نشاط السياستين البريطانية والايطالية ؛ واذا كانت السياسة البريطانية تبدى كعادتها كثيرا من الأناة وضبط النفس ، فانها مع ذلك لاتخفى اهتمامها بحركات السياسة الايطالية ومقارعتها . ولقد دللت ايطاليا الفاشستية فى العامين الأخيرين على ماتجيش به من الأطماع المتوثبة والنزعات الاعتدائية ولاسيما ضد الامبراطورية البريطانية ؛ فغزو الحبشة والاستيلاء عليها بالعنف ، يهدد مركز بريطانيا فى السودان وفى شرق افريقية ؛ وتحصين جزيرة باتلاريا الواقعة بين طرابلس وصقلية يهدد مركز بريطانيا فى مالطة ، ومن ثم يهدد مواصلاتها الامبراطورية فى البحر الأبيض ؛ ومد الطريق البرى من طرابلس إلى الحدود المصرية يخفى وراءه غايات عسكرية أكثر مما يقصد إلى غايات سلمية وتجارية ؛ ونشاط السياسة الايطالية فى المسألة الاسبانية هو مظهر آخر لتلك النزعة التى ترمى إلى تهديد انكلترا فى جميع النقط الحساسة من نفوذها الاستعمارى أو سيادتها البحرية

ولكن السياسة البريطانية مع ما تبدى من ضبط النفس

لا تخفى أنها مصممة على سحق جميع هذه المحاولات الفاشستية والاحتفاظ بسيادتها فى البحر الأبيض المتوسط ، وتدعيم نفوذها وسيادتها حيثما يقتضى الدفاع عن امبراطوريتها الاستعمارية الشاسعة . والمسألة الاسبانية هى أول مظهر من مظاهر النضال بين السياستين ؛ فكما أن رومة تحاول أن تدفع تدخلها فى الحرب الأهلية الاسبانية إلى النهاية أو حتى يظفر الجنرال فرانكو وتقوم فى اسبانيا حكومة فاشستية تخضع لنفوذ ايطاليا ، فكذلك السياسة البريطانية تعمل على احباط هذه المحاولة بتدعيم سياسة عدم التدخل ، وعزل ايطاليا عن باقى الدول ، وإظهارها بمظهر المعتدى المهدد لسلام القارة ؛ وانكلترا تفوز فى هذه السياسة بتاييد فرنسا التى تخشى عواقب التدخل الفاشستى فى اسبانيا مثل ما تخشاه انكلترا ، وتاييد روسيا السوفيتية التى تناصر الكتلة الديموقراطية ، والتى تعاون اسبانيا الجمهورية على مقاومة الثورة الفاشستية منذ نشوبها . ومما يلاحظ أيضاً أن المانيا تبدى الآن فتورا ظاهرا فى تاييد وجهة النظر الايطالية مما يدل على أنها قد ملت التدخل فى مغامرة لاتؤمن عواقبها ؛ هذا إلى أن حوادث الحرب الاسبانية ذاتها تدل على أن الجبهة الثورية الفاشستية قد سرى إليها الضعف والوهن ، فانتصارات الجمهوريين الأخيرة حول مدريد وفشل الثوار فى جميع هجماتهم الأخيرة وما أذيع من وقوع التمرد فى بعض الوحدات الثورية فى المغرب الاسبانى ، كل ذلك يؤذن بان مصاير الحرب الاهلية تتطور فى صالح الجمهورية الاسبانية . ولنذكر أخيرا أن اتفاق عدم التدخل الذى وفقت الدول إلى عقده وتنظيمه ، سينفذ بطريقة فعلية فى أيام قلائل بحيث يغدو من المتعذر على أحد الفريقين المتحاربين أن يتلقى المدد من أى ناحية . وفى اعتقادنا أن الثورة الاسبانية التى قامت منذ الساعة الأولى بتحريض الفاشستية ومعاونتها المادية ستنهار عندئذ بسرعة ، وتحسم هذه المعركة الطاحنة بفوز الديموقراطية الأسبانية ، وبذلك يقضى على تلك العوامل الخطرة التى تلوح فى الأفق منذ أشهر مهددة سلام أوربا ، والتى كان لشهوات الفاشستية ودسائسها المضطرمة أكبر فضل فى بعثها وتغذيتها

(٥٥٥)

النفس وخلودها عند ابن سينا

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٥ —

ليس تاثر ابن سينا بافلاطون من الأمور التى تتطلب اثباتاً جديداً ، فقد فرغنا منه من قديم وأضحى واضحاً وضوحاً لا يقبل الشك . وإذا كان شيخ الأكاديمية قد استطاع أن ينفذ إلى فلاسفة الاسلام جميعاً بالرغم من تعصبهم لأرسطو فان أثره فى الأستاذ الرئيس أعمق ، وملاءمته لتفكيره أتم وأكمل . وقد بينا فيما سبق كيف قال ابن سينا بجوهرية النفس على نحو مما ذهب إليه أفلاطون . ونريد اليوم أن نوضح موقفه إزاء روحيتها ، فنهيء بذلك فرصة أخرى لاظهار ما اشتملت عليه فلسفته من نزعات وآراء أفلاطونية

ابن سينا روحى فى طبيعته ، فالتغيرات الكونية ترجع فى رأيه إلى قوى خفية تحدثها وتشرف عليها ؛ روحى فى طبه ، إذ يعتبر النفس الانسانية مهيمنة على كل الأجهزة والعصارات الجسمية ؛ روحى فى فلكه ، فانه يذهب إلى أن الأفلاك والكواكب إنما تستمد قوتها وحركتها من نفوس خاصة موكلة بها ؛ روحى فى ميتافيزيقاه ، ولا أدل على هذا من أن عالم ما وراء الطبيعة فى نظره حافل بعقول قديمة أزلية كلها تفكير ونظر وتأمل ؛ روحى أخيراً فى أبحاثه السيكلوجية ، بدليل أن النفس عنده هى كل شيء والجسم والحواس مجرد آلة لها وأداة . ونستطيع أن نقول إن فلسفته كلها تتلخص فى مذهب روحانى تتجاذب أطرافه وتتناجى نواحيه . وفيلسوف هذه نزعته لا يدخر وسعاً فى البرهنة على روحية النفس ولا يمل حديثاً كهذا ، بل على العكس يعنى به ويذهب فيه مذاهب شتى ، فيلجأ تارة إلى بعض الأفكار الرياضية مستعيناً بما فيه من لباقة ومقدرة جدلية ليحمل القارىء على التسليم بهذه الروحية . ويركن تارة أخرى إلى معلوماته الطبية